عظيمة وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود يكشف
الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم
طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو
الفزع الأكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على مذهب المشبهة
لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فإن قلت فلم جاءت
منكرة في التمثيل قلت للدلالة على أنه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف
كقوله يوم يدع الداعي إلى شيء نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل وحكي هذا
التشبيه عن مقاتل وعن أبي عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى
مثل وهو مقاتل بن سليمن والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس
بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون
وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أي يوم
تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف
بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل
فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو إضمار
اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وأن ثم من
الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا
مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي
فقارة واحدة فإن قلت لم يدعون إلى السجود ولا تكليف قلت لا يدعون إليه
تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم
وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود
وهم سالموا الأصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به

عن مقاتل وأبي عبيدة صح

٢١٦

ذرني وإياه يريد كله إلي فإني أكفيكه كأنه يقول حسبك إيقاعا به أن تكل
أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي
مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين استدرجه إلى كذا
إذا استنزله إليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة
أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا إلى ازدياد
الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج
وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب
لهلاكهم وأملي لهم وأمهلهم كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما والصحة والرزق
والمد في العمر إحسان من الله وإفضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه
سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به إلى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج
وقيل كم من مستدرج بالإحسان إليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر
وسمى إحسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد
حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب
للهلاك المغرم الغرامة أي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم
حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان أم عندهم الغيب أي اللوح
فهم يكتبون منه ما يحكمون به لحكم ربك وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا
تكن كصاحب الحوت يعني يونس صلوات الله عليه إذ نادى في بطن الحوت وهو
مكظوم مملوء غيظا من كظم السقاء إذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه
من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تدارك النعمة إياه قرئ تداركته
وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تتداركه على حكاية

Copyright © King Saud University